

## رمضان وحرارة الصيف



بدأت الدورة الرمضانية الجديدة، وفتحت الجنة أبوابها للصائمين والقائمين والركع السجود، فبشرى من قدّم أوراق إعتماده إلى الله ليفوز برضوانه تعالى: (في جنّةٍ عالـيـةٍ \* قـطـوـفـهـا دـانـيـةٌ \* كـلـوـا وـاـشـرـبـوا هـذـيـنـا بـمـا أـسـلـافـتـمـ في الأـيـامـ الـخـالـيـةـ) (الحاقة / 22).

وإذا كانت الجنة مطلباً للصائمين والصائمات، فمرحباً بك يا رمضان في حرارة الصيف، فكل مشقة من أجل الجنة تهون، بل تهون النفس في سبيل الله من أجل جنة غالبة (وفيها ما تشتهر به الأنفسُ وتَلَدُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خالِدُونَ) (الزخرف / 71).

وإذا إشتدى بك العطش في شدة الحر، فاعلم أنّه مهر الحسناء الغالية (ومَنْ يَخْطُبُ الْحَسَنَاءَ لَمْ يَغْلِهِ الْمَهْرَ)، فالجنة في رمضان هي الحسناء المخطوبة، فلا تخلوا عليها بأعلى المهوّر، وأعلى ما تقدّمه إلى حسناتك وأنت صائم في هذا الحر هو أن تصير على شهوة النفس وشدة العطش. فإن غازلتك شهوة جامحة فغضّ الطرف عنها، فما أحلى ولا أغلى ولا أعظم ولا أكرم من إشباع كل شهواتك في الجنة (لَهُمْ مَا يَسْأَءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) (ق / 35).

وإن داعبتك شربة ماء باردة وأنت طمآن، فقل لها بلسان المشتاق إلى شراب الجنة: إلى اللقاء أيتها اللطوب، فموعدنا الغروب وكل آن قريب.. وإن أحسست أن النهار طويل وأن الصيام في هذا الحر ثقيل

وَسُولٌتْ لِكَ نَفْسِكَ أَمْرًا (فَصَبَرْ جَمِيلٌ وَالْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصْبِفُونَ) (يوسف/ 18).

أعرف كما يعرف الجميع أنّ نهار الصائم طويل وأنّ الصيام في هذا الحر الشديد ثقيل، ولكننا نؤمن بأنّ الثواب على قدر المشقة وأنّ أجرك صائمًا في شدّة الحر يختلف عن أجرك صائمًا في أجواء الرياح أو الشتاء، ثمّ أنت في النهاية من الصابرين الفائزين بالمساكن الفاخرة في جنّة مكيفة تكيفاً إلهياً لا تشعر فيها بحرارة الشمس ولا زمهرير الشتاء، هذا قرار ربّك ووعده للصابرين يتلى عليكم في كتاب ربّكم، فيقول سبحانه: (وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرَّيرًا \* مُتَّكَئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرَيرًا \* وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ طَلَالُهَا وَذُلُّلَاتٍ قُطُوفُهَا تَذَلِّيلًا) (الإنسان/ 14-12)، ألا يستحق هذا النعيمُ أن تكون من الصابرين على حرارة الصيف وأنّ صائم؟ وهل يشعر المؤمن بقيمة الصبر وحلوة الأجر إذا كان ضعيفاً متهاالكاً في مواجهة الحر؟ ثمّ انظر إلى عظمة مَن تكون في خدمته في رمضان، إِنَّهُ السَّيِّدُ الْمَوْلَى الْكَرِيمُ الَّذِي تصوم من أجله، وتصرير على الطاعة في الأجواء القاسية من أجله، ولهذا كان أجرا الصائمين مفتوحاً عنده بغير سقف أو حساب (إِنَّمَا يُؤْفَكَ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (الزمر/ 10).

مَن تعلق قلبه بأحوال الآخرة صغر في عينيه متعاجل الدنيا، وهانت عليه مكاره الحياة. هذا بإختصار هو تفسير أحوال المؤمنين في أزهى عصور الإسلام، فكانوا لا يمنعهم من المسارعة إلى الخيرات و فعل الطاعات حر شديد ولا برد كالجليد.. فقلوبهم وعقولهم مشغولة بالتلطّّع إلى الجنّة ونعمتها وبالنجاة من عذاب جهنّم وحرّها. ومن دعاء عباد الرحمن (رَبَّنَا اصْرِفْ عَنْنَا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً) (الفرqان/ 65).

ومَن كان حريماً على النجاة من حر جهنّم، فإنَّه لا يقيم وزناً لحرارة الدنيا مهما بلغت شدّتها، بل لا يسمح لحر ولا برد أن يعطلا مسيرته نحو الغاية المنشودة لأنّ المتطلّع إلى القمم لا يعطله ما يحدث في السفوح، فهو يمضي إلى تحقيق غايته مستهينًا بالمضاعب والمتاعب:

وَمَنْ تَكَنَ الْعُلَيَاءُ هَمَّ نَفْسِهِ فَكُلُّ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مُحِبٌ

كانوا يصومون في حر الصيف وما تعطل فيهم النضال بالسيف، ولكن إذا غاب حر جهنّم عن فكرنا وشعورنا تعاظم حرّ الدنيا في حسّنا وتقديرنا حتى يصير هو الحر الوحيد الذي لا نعرف له نظيراً ولا نحسب لغيره حساباً، ولهذا يفتر بعضنا من حر الدنيا بسلوكيات توقعه في حر جهنّم وهو لا يدرى إلا حين يقال له: (هذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) (يس/ 63).. اسأل الهاجرين من الصيام خوفاً من الحر.. وقد يمّا فعلها نفرٌ من المنافقين تخلّفوا عن الجهاد مع رسول الله (ص) بحجة الحر الشديد (لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ) فسخر الله من مقالتهم، فأنزل على لسان نبيه (ص): (قُلْ نَارٌ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ) (التوبة/ 81).

ولو فقهنا لأدركنا أنّ أحوال الطقس في جهنّم لا نظير لها في نار الدنيا مهما بلغت حرارتها.. ففي بحث علمي منشور، قدّر بعض العلماء من غير المسلمين أنّ درجة الحرارة في جهنّم تصل إلى 268 درجة،

وقد<sup>٣</sup> موا لذك العديد من البراهين العلمية فنحترم إجتهادهم على ما شا به من تقصير، فقد طالعتنا السدّة النبويّة المطهّرة بأن درجة الحرارة في جهنم قد تصل إلى سبعين ضعفاً لدرجة حرارة النار في الدنيا، ففي الحديث: "ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنّم، قيل: يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: فُهِّلْتُ عَلَيْهِنَّ بِتَسْعَةِ وَسْتِينِ جَزْءاً كَلِهْنَّ مِثْلَ حَرْبَهَا". فاختر أي نار توقد وقس درجة الحرارة ثم<sup>٤</sup> إضرب في سبعين تشعر بأحوال الطقس في جهنّم، وتتساءل في حسّلك حرارة الصيف.. فليتك تجعل من صيامك في هذا الحر زورقاً للنجاة من حر جهنّم (فَمَنْ زُحْرَ حَسَنَ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ) (آل عمران / 185).

\*أستاذ بجامعة الأزهر ووكيل كلية اللغة العربية الأسبق المصدر: كتاب (القرآن وقضايا العصر)